الفصل الخامس :

الانقسام .. كيف وقع ؟

* لنحافظ على وحدة الحزب محافظتنا على حبات عيوننا .

« ستالين »

* يتصارع الاخوان وهما مثل ركبتى البعير ، ينهضان معا ويتمان معا .

« مثل عربى »

.. وتفرقت السبل .
سريعا اتحدوا ودون تأن ، وسريعا تفرقوا ودون تأن ايضا .
ولسنا في هذا الفصل ندعي امتلاك الحق في الادانة أو الامتداح .

الكل يعترف أن ثمة جريمة قد وقعت . لكن كل طرف يلقي كامل اللوم على الطرف الآخر .

وما أسهل أن يمسك المؤرخ ـ ويده الان في ماء بارد ـ بقلم أحمر ليصحح المواقف أو الاحداث . وما أسهل أن يدعي الحكمة وهو يطفو الان في يسر فوق سطح حدث وقع منذمدة وأثمر نتائجه ، بينما مرسان الحدث اتخذوا قراراتهم في مناخ آخر ، ووسط حمى صراع ضار ، وهم في قلب ما اعتقدوا انه معركة ضارية .

ولكن وبدون دخول في التفاصيل هل بالامكان ـ وقبل استعراض شريط الاحداث ـ أن نصادر على المطلوب ونقرر ـ وبغض النظر عن اية تفاصيل قد تقال أو قد تغيب ، وبغض النظر عن المنطق أو المنطق المعكوس ـ ان الاغلبية يتعين عليها أن تتحمل العبء الاكبر من المسئولية ..

ذلك انه في مناخ كهذا الذي ساد .. وفي اعقاب وحدة سريعة كتلك التي حدثت ، كان يتعين على الاغلبية ان تكون ارحب صدرا . وأكثر صبرا ، وأن تتخلص ، أو أن تجبر نفسها على أن تتخلص من عقد الماضي ومواجسه وعداواته ، وأن تغفر للمخطيء ، حتى ولو كان مخطئا ، وأن تفسح المجال للأقلية ، وأن تتنازل حتى عما هو حق لها . بهدف افساح الفرصة لرؤية موضوعية ، ولسيادة العقل ، وبهدف اتاحة الامكانية لهؤلاء الذين وجدوا أنفسهم فجأة في موقع الاقلية ، والذين اعتقدوا أن مسيرة الوحدة قد أفقدتهم حقهم المشروع في قيادة الحزب بأغلبية منهم .. اتاحة الفرصة لهم كي يعتادوا على موقع الاقلية ، وكي يستوعبوا هذا الواقع الجديد ، الذي اكتسى وبرغم بهجة الوحدة بمرارة خاصة .. وأن يستشعروا أن بامكانهم وهم أقلية في القيادة تعتقد انها تمثل أكثرية القاعدة ، أن يقولوا وأن يفعلوا ما تتيحه لهم اللائحة الحزبية ، وأن يمتلكوا حتى مجرد الامل في امكانية تصحيح الاوضاع ..

ولست أجد العذر للآخرين ، فلعلهم قد فقدوا بعضا من توازن مفترض ، ولعلهم لم يطيقوا ما سبق أن ارتضوه كأساس للوحدة ، ولعلهم تعجلوا

النتائج ، ناسين انهم يأتون الى موقع جديد ، ليسوا هم فيه الاقلية فحسب وانما ـ وهذا هو الاشد قسوة ـ هم الاقلية تحت وطأة اغلبية مزهوة بنصر غير حقيقي ، ومحتقنة بعداوات وخصومات قديمة وراسخة ·· وناسين ـ وهذا هو الاهم ـ انهم هم الذين ارتضوا بل وألحوا وأصروا على وحدة هذا أساسها وهذه ترتيباتها ونتائجها ·

على أية حال ·· هذه كما قلت مجرد تقييمات باردة لواقع كان بطبيعته صاخبا وحارقا ·· ومنفعلا ·

* * *

·· قبل أن نأتي الى الوقائع ·· اعتقد انه من المفيد ان نستمع وببعض الاطالة الى تقييم لعملية وحدة ٨ يناير ·· وللفارق بينها وبين وحدة الوحد ، ولماذا نجحت الاخيرة وفشلت الاخرى :

يقول مبارك عبده فضل « كانت التنظيمات الصغيرة التي اتحدت مع حدتو عام ١٩٥٥ صغيرة العدد ، كل منها مكون من عدد ضئيل من الاعضاء ، وعدد أقل من الكادر ، ولهذا لم يشكل أي منها وحتى كلها مجتمعة خطرا على الوحدة ، في ظل عناصر وكوادر حدتو الكاسحة عدديا ونوعيا · لكن هذا لم يكن شأن الراية ، ع · ف فمهما قلنا عن قلة عدد الراية فقد كانت أكبر في عضويها من كل عضوية المنظمات الصغيرة مجتمعة ، أما بالنسبة الى ع·ف فقد كانت أقدم عمرا وأكثر عضوية بالطبع ···

كذلك فان المنظمات الصغيرة التي اتحدت مع حدتو لتخلق الحزب الموحد في ١٩٥٥ لم يكن لأي منها نفوذ سياسي ، أو جماهيري أو فكري يذكر ·· بالاضافة الى أن غالبية عضويتها وكوادرها ·· كانت في السجن أو المعتقل · والوضع يختلف بالنسبة للراية و ع·ف » ·

ويمضي مبارك قائلا « كذلك لم تكن للتنظيمات الصغيرة التي اتحدت في الموحد تقاليد راسخة ومقولات كاملة في تنظير أو تحليل أو حتى تبرير المواقف السياسية ·· ، وهذا الوضع اتاح تصفية الخلافات السياسية داخل الموحد ·· وحدد مسار الصراع بتحقيق انتصار سياسي كاسح لحدتو · وعلى العكس من ذلك كانت تقاليد ع·ف ومقولاتها الانتهازية راسخة رسوخ منظمة شيوعية تكونت في الاربعينات · ويكفي ان نقرر انها كانت وظلت القطب الاساسي المعادي لحدتو ، طوال التاريخ ·· وبمثل هذا التمرس استطاعت ع · ف · أن تقود الراية في الخط الانقسامي بعد تشكيل الحزب الواحد ·

كذلك فان الراية وان لم تكن قديمة مثل ع · ف الا أنها وبرغم حداثة تاريخها كانت قد صاغت مواقف سياسية وفكرية متكاملة ، وحددتها في

وثائق معلومة ومحددة ، ومجلة « راية الشعب » كانت منتظمة الصدور ، واسعة الانتشار ، الامر الذى اتاح للراية ان ترسخ من مقولاتها بغض النظر عن اعتقادى بعدم صحة هذه المقولات »

وايضا فان نهج المنظمات الصغيرة لم يكن فى جوهره معاد للوحدة بينما ظلت ع ٠ ف ٠ طوال حياتها ضد الوحدة ، وكذلك الراية التى رفعت مقولتها الشهيرة « لا شيوعية خارج الحزب » ٠٠ وهكذا فان ثمة فارق جوهرى بين منظمات أتت سعيا الى الوحدة مثل تلك التى اتحدت عام ١٩٥٥ لتؤسس الموحد ، وبين أخرى أتت مرغمة فى محاولة لاحتواء الراس أمام عاصفة الوحدة العاتية التى أرغمت الجميع على القبول بها ٠٠ ٠

وأخيرا يقول مبارك « انه رغم أن الوحدة الشاملة قد تمت فى ظل انتصار الخط السياسى لحدتو (تأييد ثورة يوليو) وفى ظل هزيمة سياسية شاملة لفكرة الراية عن ثورة يوليه(الفاشية) ولفكرة ع ٠ ف ٠ (الدكتاتورية العسكرية) فاننا لم نطالب وقبل اتمام الوحدة بنقد معلن لهذه الاطروحات السابقة ٠٠ ولو حدث ذلك لكان من الضرورى التعرض للاسس المنهجية التى قادت الى مثل هذا التفكير الخاطىء والى مثل هذه المواقف محل الانتقاد ٠ وأدى افتقاد هذا النقد الى سهولة الارتداد الى المواقف القديمة ـ بصورة مخففة ـ لدى أول تصادم مع عبد الناصر ٠٠ والى سهولة تضليل الكادر الذى كان لم يزل من السهل اعادته الى قناعاته القديمة »(١) ٠

ويعود مبارك ليلخص الامر كله فى نقطتين أساسيتين لعل توافرهما كان يمكن ان يؤدى الى انقاذ الوحدة :

١ ـ عمل جماهيرى مشترك قبل الوحدة بوقت كاف ، يكون سبيلا لتحديد المواقف وصهرها معا ٠٠ وافراز الخلافات التى يتعين ايضا ايجاد وقت كاف لتصفيتها فكريا ٠

٢ ـ اشتراط ضرورة تقديم نقد واضح للاخطاء السياسية السابقة ٠٠ ٠

٠٠ لكن مبارك وهو يحدد الفارق بين وحدة نجحت (وحدة الموحد ١٩٥٥) ووحدة فشلت (٨ يناير ١٩٥٨) ينسى مسألة مهمة هى :

أن وحدة الموحد قد تمت عام ١٩٥٥ ٠٠ حيث كانت تجربة عبد الناصر تجتاز تعثراتها وتقبل على فترة تألقها ٠٠ ومن ثم فان نظرية حدتو فى تأييد ثورة يوليو قد اكتسبت هى ايضا تألقا مكنها من أن تتسيد سياسيا ثم

---

(١) فضل ـ المرجع السابق ـ من ص ١٦ وحتى ص ٢٥

تنظيميا الحزب الموحد (هذا بالاضافة الى العنصر الحاسم وهو الفارق الكبير فى الحجم والنوع بينها وبين المنظمات الصغيرة) ·· بينما وحدة ١٩٥٨ تمت وتجربة عبد الناصر تزهو بتألقها وتحاول ان تستثمره فى سحق كل من ليس تحت لوائها ·· فعبد الناصر لم يكن يريد فى عام ١٩٥٨ مجرد الاطاحة بمعارضيه ، فلم يكن هناك ثمة معارضة فعلية ، وانما أراد الانفراد والتفرد بالساحة ومن ثم قرر سحق كل من ليس تحت لوائه ·· وهنا أتيحت الفرصة للمواقف القديمة المعادية لحدتو ولخطها من ثورة يوليو ان تنتعش وأن تكتسب بعضا من النفوذ ·

كذلك فان منهج حدتو فى التغاضى عن السلبيات وعدم ترجيحها على الايجابيات ، وأسلوبها فى ملاينة حكام يوليو ومحاولة غض الطرف عن أخطائهم بهدف احتواء هذه الاخطاء وتعزيز الايجابيات ودفعها وتطويرها ·· هذا المنهج وان أثمر عام ١٩٥٥ فانه لم يكن مؤهلا للاثمار عام ١٩٥٨ حيث كان عبد الناصر يريد ليس أقل من الخضوع المطلق · وحيث كان يوجه الضربات الى معارضيه ومؤيديه ، بل والى مؤيديه بأكثر وأشد من معارضيه ·

* * *

ثم نأتى الى الوقائع ··

ولعلنا لسنا بحاجة الى أن نعيد التذكير بقصة المالية والمحترفين ·· وبأسلوب توزيع المسئوليات ، ذلك الاسلوب الذى انتهجت فيه الاغلبية المكونة من ع · ف · والراية خطة تجريد رفاق حدتو من المسئوليات الاساسية ووزعوا المسئوليات عليهم وحدهم وكأنهم يوزعون غنائم حرب ··

ونذكر ان الرفاق الاربعة أعضاء المكتب السياسى (فاروق ـ عاكف ـ أحمد ـ خليل) قد أصدروا تقريرا شهيرا بعنوان « حقائق الازمة التى تعرض لها حزبنا ·· » وقد أشرنا اليه مطولا فيما سبق ·· ولابد لنا من ان نعود اليه لنطالع وجهة نظر أصحابه فى الشق التنظيمى من أزمة الحزب ··

يقول الرفاق الاربعة ·· « ·· والانتهازية اليسارية فى السياسة هى ايضا التى اتخذت طابعا انتهازيا يساريا فى التنظيم ، فاتخذت شكلا مكانيكيا للانضباط الحزبى موجها الى تيار تاريخى معين هو تيار الموحد وحدتو بالدرجة الاولى وهكذا فان حزبنا الذى لا يزال مولودا جديدا تريد الانتهازية أن تصفيه تصفية تنظيمية :

(أ) باحداث تكتلات فى داخله ·

(ب) بمحاولة تصفية تيار سابق تصفية انتقامية باجراءات تنظيمية ٠

(جـ) بعدم نشر الآراء المختلفة ، وعدم مناقشة المسائل مع الكادر ، وعدم استيفاء المناقشة قبل اتخاذ القرارات ٠

(د) بتحويل الحزب الى قسم للبوليس ثم زنزانة لاصحاب الاراء الثورية عن طريق الاجراءات الانتقامية وتحت شعار الانضباط الحزبى ٠

(هـ) بتطبيق المركزية الديمقراطية تطبيقا أعمى ، يجعلها مركزية عمياء ، وعدم تحقيق المركزية عن طريق الديمقراطية ٠٠

ويواصل التقرير « ان الاغلبية الشكلية رفضت السماح للاقلية (الموحد) بالتعبير عن نفسها ٠ بل ان بعض الرفاق رفعوا شعار « لا معارضة داخل الحزب » ٠ وان على الاقلية أن تودع رأيها فى الملفات الحزبية ٠ وقد عارضوا الصراع الفكرى ، وتحت ضغط الكادر قررت السكرتارية المركزية فتح باب الصراع الفكرى ثم عادوا فقرروا انه ليس للتنفيذ وانما هو مطروح على م ٠ س للموافقة عليه ولتنظيم بدء الصراع ٠٠ » ٠

ويتحدث التقرير عن اجتماعات المكتب السياسى « ٠٠ وكان المتكتلون يكتمون غيظهم ، ويضغطون على أعصابهم ، وهم يتفضلون بالسماح لاعضاء م ٠ س من رفاق الموحد سابقا بعرض آرائهم بحرية ، ويكررون أسفهم على رحابة الصدر ، وعلى الوقت الذى يضيع ، ثم قرروا ايقاف « مهزلة ! » المناقشات فى م ٠س متعللين بموضوع المطبعة ، ورفضوا ان يلقى الرفيق فريد تقريره الذى كان قد أعده شارحا فيه تشخيصه للازمة ، ورأيه فى علاجها ، ورفضوا أن يطبع ويوزع على أعضاء الحزب أو حتى على أعضاء اللجنة المركزية ، وقرروا « الحاقه » بمحاضر المكتب السياسى »(٢) ٠

٠٠ ونلمح عبارة « ثم قرروا ايقاف مهزلة (!) المناقشات متعللين بموضوع المطبعة » فما هو موضوع المطبعة ؟

كان الحزب الجديد يمتلك جهازى طباعة سريين ٠٠ والغريب ان الجهازين كانا مقدمين من الموحد (وهنا يثور للسؤال أين الاجهزة الفنية لمنظمتى ع ٠ ف والراية ٠٠) وكان يعمل على هذين الجهازين كوادر من الموحد ٠٠ الاول يعمل عليه محمد الزبير ورشاد الشلودى ، والاخر يعمل عليه صابر زايد ٠٠

---

(٢) حقائق الازمة التى تعرض لهـا هزبنا ـ المرجع السابق ـ ص ٢٥

فكيف وقعت قصة استعادة رفاق الوحد لاحدى المطبعتين ؟

كان محمد الزبير مسئول الجهاز الفنى السرى وكان مقيما مع الجهاز فى مدينة القناطر الخيرية وفجأة أرسلوا اليه تقريرا ليطبعه ، فوجد فيه هجوما على رفاقه القدامى فى الوحد ·· فقرر ان ينحاز الى رفاقه ولكنه كان يخشى أن يسرع الطرف الاخر للاستحواذ على الجهاز ، خاصة وأن الآخرين يعرفون مكانه ·· وفيما هو فى حيرة من أمره وقعت مصادفة ··

ويكمل شحاته النشار القصة « فى العيد ذهبت أنا وأولادى وأحمد حجازى للنزهة فى القناطر الخيرية وبالمصادفة قابلت هناك محمد الزبير ، وابلغنى ان المطبعة تحت يده فى القناطر وانها يجب ان تنقل فورا حتى لا يستولى عليها الآخرون لانهم يعرفون مكانها · وكنت حتى ذلك الحين مقررا الخضوع للاغلبية وعدم الخروج مع رفاقى ·· ولكن فى هذه اللحظة وعندما علمت انهم يستخدمون أجهزتنا ليهاجموا رفاقنا قررت ان اخرج مع رفاقى ·· وأن أسلمهم المطبعة ، واتفقت مع أحمد حجازى ان يذهب مع محمد الزبير وأعطيتهم نقودا كافية ، وتركت أولادى واسرعت فورا الى أحمد الرفاعى وابلغته بالموضوع »(٣) ·

ويسرع أحمد الرفاعى الى فؤاد حبشى ويتم نقل المطبعة الى مكان جديد حيث تبدأ نشاطها المستقل باصدار أوراق تعبر عن مواقف فريق حدتو

ويقول محمد الجندى « كانت غالبية الرفاق الوحد ضد أخذ المطبعة لانها أسهمت فى تصعيد الخلاف »(٤) ·

·· وبعد عملية المطبعة ، تصاعدت الاحداث ·· ودعى المكتب السياسى الى الاجتماع ·

ونعود الى تقرير الاربعة « وفى هذا الاجتماع رفضت الاغلبية الشكلية استمرار المناقشة ، ورفضت نشر تقرير فريد ، ورفضت نشر محاضر جلسات المكتب السياسى ، ورفضت بدء الصراع الفكرى بضمانات تنظيمية ، ورفضت كافة اقتراحات رفاق الوحد فى المكتب السياسى ، وقررت شيئا واحدا غريبا على الازمة وغريبا على الحزب وهو التوصية بفصل الرفاق الاربعة خليل واحمد وفارون وعاكف ، وذكرت ان اثنين منهما وهما فاروق وعاكف ساهما فى الاعمال التخريبية والانقسامية وسرقة المطبعة ، اما الاثنان الآخران فهما قادة هذا التكتل ولهذا يجب طردهما ·

---

(٣) النشار ـ المرجع السابق .

(٤) الجندى ـ المرجع السابق .

وهكذا ولاول مرة يواجه الحزب الدليل الناصع على محاولة تصفية التيار الثورى فى كل المستويات ، كما نلاحظ الطابع التكتلى للاجتماع بأدلة عديدة ..

١ ـ الحسم فى كل المسائل بالاغلبية .
٢ ـ رفض استمرار النقاش كما كان محددا لجدول عمال م . س .
٣ ـ كانوا مرتبطين بمواعيد تتناقض مع امكانية استمرار الاجتماع .
٤ ـ تعيين رئيس للجلسة حاسم وانقسامى وحقود هو جابر .

ثم جاء الدليل من خارج الاجتماع فقد استشير الرفيق العربى قبل الاجتماع فى موضوع الفصل ، كذلك عرضت نفس القرارات قبل اجتماع المكتب السياسى بيومين فى قسم الزيتون . وهكذا انتهت مأساة الصراع الفكرى باجتماع انقسامى تكتلى للمكتب السياسى صدرت قراراته قبل أن يجتمع ، وقبل ان يصدرها بيومين بل بأكثر من يومين »(٥) .

.. ونتوقف عند عبارة الرفيق العربى .. ولعلها تحتاج الى ايضاح .

فمع تصاعد حده الخلاف فى صفوف الحزب .. حضر الى القاهرة الرفيق العراقى ع . ع . الذى انهمك فى خضم هذه الخلافات محاولا ايجاد مخرج .. ومتداخلا بما يخرج عن كونه مجرد رفيق من حزب شقيق .

.. ويبدى احمد الرفاعى رايا يقول ان دور الرفيق ع.ع . كان سلبيا بمعنى انه كان يبث فى نفوس الاغلبية روح التشدد وضرورة اتخاذ قرارات فورية وصارمة ، وان الاغلبية كانت تستند اليه فى تبرير تصرفاتها المتشددة معلنة ان التحكيم الخارجى كان لصالحها ، خاصه وان الرفاق العراقيين كانوا يمتلكون فى ذلك الوقت رصيدا خاصا وتألقا خاصا ايضا .

.. ويقول الرفاعى « حضر الرفيق العراقى احد الاجتماعات وألقى ا.ص.ع كلمة دعا فيها الى تطهير الحزب منا . وقال ان الحزب يتقوى بتطهير نفسه من العناصر الانتهازية . ورد عليه محمود العالم ، وتكلم الرفيق العراقى محبذا سياسة التشدد والعنف ضدنا . وأنا تكلمت فرفضت من حيث المبدأ قصة التحكيم . وقلت أن الرفيق الحاضر هو مجرد رفيق مثلنا ، ولا ولاية له علينا ، ولا يحق له التدخل فى شئوننا الداخلية » (٦)

وصدرت القرارات الحاسمة أو بالدقة القاتلة .

---

(٥) حقائق الازمة التى تعرض لها حزبنا ـ المرجع السابق ـ ص ٢٥
(٦) الرفاعى ـ المرجع السابق .

ويقول فوزى حبشي وكان من اعضاء الموحد الذين رفضوا الخروج من الحزب « عندما صدرت قرارات المكتب السياسى بفصل الاربعة كان يوم حزن ، ورغم ذلك خضعنا للقرارات الحزبية » (٧)

وكان أكثر الناس حيرة هم رفاق حدتو السابقين · الذين عاشوا وتربوا على مبدأ ادانة الانقسام والانقساميين فاذا بقادتهم يودعونهم داخل حزب جديد ·· ثم يتركونهم ويخرجون ·· وقد عاش هؤلاء الكوادر فترة حرجة ، وعانوا معاناة حقيقية ·

يقول شحاته النشار « بعد فترة من الوحدة بدأت الضربات توجه لنا ، وتم وقف رفاقنا الاربعة تمهيدا لفصلهم ، وثار الرفاق فى القسم ، وبدأت موجة من الاتصالات الجانبية وأنا شخصيا كنت ضد أى عمل انقسامى ، كان الانقسام بالنسبة لنا نحن كوادر حدتو يمثل عقدة حقيقية ، ولم أقتنع بموقف رفاقى ·· بل وأعددت تقريرا ضد الانقسام · لكنى كنت غير مرتاح نفسيا ، لقد خرج رفاقى ، فكيف أبقى مع الاخرين ·· وفجأة وجدت رفيق من ع·ف ينزل الى القسم بشكل جانبى فأثار ذلك غضبى · ثم دعت القيادة الى اجتماع لكوادر الموحد بالقاهرة وأذكر أنه قد حضر الاجتماع حوالى ١٥ شخص منهم فوزى حبشى ـ عدلى جرجس ـ محمد حجازى ـ مارى بابادوبلو ـ محمد عثمان وأنا وحضره من القيادة د· فؤاد مرسى الذى دافع عن قرار طرد الاربعة ، ورفضنا قرار الطرد وقلنا انهم هم الذين رتبوا ودفعوا للانقسام ·· ولكن أصبح الانقسام حقيقة واقعة · ورغم ذلك استمررت معهم ·· وحضرت اجتماع لجنة المنطقة وفى هذه الفترة كنت مسئولا عن المالية وعن الجهاز الفنى الخاص بالمنطقة ·· وحضر رفيق من ع·ف· وطلب منى المالية فرفضت ، وطلب أن أسلمه الجهاز الفنى فرفضت ، وطلب أن أسلمه العضوية فرفضت · كنت أستريب فى تصرفاتهم ·· ورغم أننا حاولنا تهدئة الاوضاع والوصول الى تسوية الا انهم كانوا متحمسين لطرد قياداتنا وكوادرنا فطردوا بعد الاربعة واحدا من أهم كوادر حدتو وأكثرهم نشاطا وحيوية وهو جمال غالى مسئول الجيزة ·· » (٨)

·· ورواية أخرى لسعد رحمى « فوجئت فى الاسكندرية بزيارة لابراهيم عبد الحليم وأحمد الرفاعى ، وبدأت المناقشة حول الخلافات وحول كيفية مواجهتها ·· كنا فى شهر مايو · وأخذت موقفا حادا ومحددا ··

---

(٧) حبشى ـ المرجع السابق .

(٨) النشار ـ المرجع السابق .

عقلت لهم اننى اذ أراجع مواقفنا قبيل الوحدة أصل الى اننا اخطأنا . وكنا حسنى النية ، وقدمنا تنازلات كثيرة لمن لا يستحقون ، وكنا عاطفيين أكثر مما يجب ، وقلت أننى أسلم أن الاخرين قدموا أرقاما كاذبة ، وعضوية من غير الشيوعيين ، وحكيت لهم تجربتى بالاسكندرية . ولكننى قلت انه طالما تكون الحزب فهذا الحزب له قوانينه الخاصة فى ادارة صراعه الداخلى . ولا سبيل لحل المشكلات الا بنشرة داخلية وحرية النشر ومؤتمر ، واذا رفض الآخرون ذلك فلنصارع من أجل فرضها عليهم » (٩)

الى هذا الحد كانت كوادر حدتو تعانى ٠٠ وترفض الانقسام ، وقد لعب الاخرون على هذا الوتر كثيرا واستفادوا منه أيضا ٠

ويقول سعد رحمى عن معاناته هذه « انا كنت أطحن بين الطرفين حدتو تعتبرنى الابن العاق ، والآخرون ينظرون الى كقنبلة زمنية ستنفجر يوما ٠ وقد عشت معهم تجربة مريرة وقاسية ٠ وبعد طرد حدتو من الحزب تفرغوا لبعضهم البعض وبدأوا فى صراعات غير مبدئية » (١٠)

ويقول جمال الشرقاوى « عندما تمت الوحدة كنت لم أزل فى السجن ، وأفرج عنى فى ١٨ يونيو ١٩٥٨ ٠ خرجت من السجن على أساس أن هناك حزب واحد للشيوعيين ، ولكننى سرعان ما اكتشفت ان هناك مناقشات واسعة جدا تدور فى المقاهى والبيوت ، وتصادف أن حضرت مناقشة كهذه فى قهوة فى باب اللوق وكان يتزعم المناقشة كمال عبد الحليم . ولم أسهم فى المناقشة الا بالاستماع ٠ ثم دعيت الى مناقشة أخرى فى منزل عبد السلام مبارك وحضر عدد من زملائنا القدامى فى مصر الجديدة ، وبدأ الحديث يتصاعد عن وجود تيارين فى الحزب وعن بدايات عملية الانقسام . وأحسست فى هذا الاجتماع أن ثمة دعوة لنا نحن الذين من أصل تاريخى واحد أن نتجمع فى مواجهة التيار الآخر ٠ وأنا رفضت ذلك ٠ وعندما خرجت وجدت أن هناك فوضى شاملة فى الحزب . ولكننى على أية حال نظمت فى لجنة قسم الزيتون ٠٠ وأذكر أن زملائى فى لجنة القسم كانوا اسماعيل المهدوى ـ د٠ حسين كمال الدين ـ طاهر عبد الحكيم ـ جميل عبد الشفيع » ٠ (١١) (ونلاحظ انهم جميعا من الموحد ٠٠ أى أن الذين تركوا أو طردوا من الحزب قد غادروا صفوفه تاركين منه كوادرهم الوسطى

---

(٩) رحمى ـ المرجع السابق .

(١٠) المرجع السابق .

(١١) محضر نقاش مع جمال الشرقاوى . عن المناقشة فى القاهرة فى ١٦ ـ ١ ـ ١٩٨٥

الأساسية لتحمل مع الطرف الآخر على اساس ما تربت عليه طويلا من احترام للحزب والالتزام الحزبى والصراع الحزبى) ٠

٠٠ وثمة تجربة اخرى فى بحرى ٠٠ يقول عبد الله الزغبى « احسست خلال زيارة للقاهرة بوجود خلافات ومشاكل ، وفى بيت زين سليط دعينا الى اجتماع تفجرت فيه المشاكل ، وانقسمت لجنة بحرى الى رأيين رغم اننا جميعا من ابناء الموحد وابناء حدتو اساسا ٠٠ فقد أعلن سيف الدين صادق ـ أحمد سليم ـ الشيخ عبد السلام الخشان ـ رشدى عبد البارى أنهم يرفضون مسلك اغلبية القيادة ، وانهم يتضامنون مع المفصولين ٠٠ اما عبد المنعم شتله وزين سليط وانا فقد اعلنا اننا نرفض مسلك القيادة لكننا سنخضع لها أيا كانت انتقاداتنا عليها ٠٠ وفى دكرنس وشربين والمنصورة والغربية ودمياط حدث نفس الشىء ٠٠ كنا جميعا من ابناء الموحد لكن البعض خرج مع الخارجين والبعض بقى ٠٠ وتشكلت لجنة جديدة لبحرى ضمت عبد المنعم شتلة ـ محمد عثمان ـ سعد أبو رمضان ـ وأنا (الجميع موحد) وأتى عبد المنعم شحتو ليشرف علينا وعقد الاجتماع الأول للجنة المنطقة فى منزل سعد ابو رمضان بعزبة البرج » (١٢)

وفى مكان آخر فى كفر الدوار ٠٠ يقول عيد صالح مبروك ٠٠ « للاسف انا لم افهم شيئا ، ولم يتصل بى احد من رفاقى القدامى لا قبل الوحدة ولا بعدها ، ولهذا لم اشعر بوجود اى مشاكل فى الحزب الا بعد صدور قرار فصل الرفاق الأربعة ٠

ولكننى كنت اشعر بوضع غير مريح ٠٠ وأذكر اننى كنت قد فصلت من عملى وكان هناك قرار باختيار محترف ٠٠ وبدأ بعض الرفاق الآخرين فى مساومتى لتغيير موقفى ، فلما رفضت صوتوا ضد احترافى ٠٠ واخيرا علمت أن هناك انقسام فى الحزب وأن رفاقى قد فصلوا ٠٠ وقررت رغم ذلك ان أبقى فعلى هذا تربينا طوال حياتنا ، الخضوع للحزب والصراع فى داخله ٠٠ ودعيت الى اجتماع لجنة المنطقة واستمر الاجتماع طيلة يومى ٣٠ ديسمبر و ٣١ ديسمبر ١٩٥٨ ، وحضر من المركز حسن صدقى وفجأة نشب صراع ضار بين رفاق الراية ورفاق ع٠ف حول مسألة جديدة تماما هى من يكون السكرتير العام خالد ام عباس ، ونسوا كل شىء ، وتشبثوا بهذا الموضوع ، وأنا حائر بينهم٠وبدأت أحس بالمشكلة الحقيقية ٠ وخرجنا من الاجتماع ليقبض علينا بعدها بساعات قليلة » (١٣)

---

(١٢) الزغبى ـ المرجع السابق .

(١٣) مبروك ـ المرجع السابق .

•• وبرغم أن كل رفاق الموحد قد ناشدوا رفاق الاغلبيه الحفاظ على وحدة الحزب ، وبرغم أن نسبة كبيرة منهم (قدرها فخرى لبيب بحوالى ٣٠٪) قد أعلنت أنها ملتزمة بقرارات الحزب وانها خاضعة لها برغم معارضتها للمسلك والمنهج والقرار •• فان رفاق الأغلبية (الشكلية) كما أسماها رفاق حدتو قد صمموا على مواصلة عملية ذبح الأقلية بسيف الأغلبية :

وبرغم المناشدات •• والالحاح ، والتهدئة •• بل والوعود •• استمرت الخطة ••

يقول أحمد الرفاعى « زارنى فى منزلى د• فؤاد مرسى ووعد بامكانية التفاهم وتصحيح الاجراءات والوصول الى تسوية •• لكن الامور سارت دون تصحيح وكان هناك اصرار من جانب البعض على اتمام العملية ، وخاصة رفاق ع•ف ومن الراية كان الاسوأ والاكثر تشددا س•ز ، ع•س•أ و أ• ص•ع » (١٤) (وأعتذر عن ذكر الأسماء كاملة متمسكا بخطتى التى أشرت اليها فيما سبق) •

وانعقد الاجتماع الأخير للجنة المركزية •

الاجتماع الثانى ـ والأخير •

نذكر أن الاجتماع الاول استهلك نفسه فى موضوع المحترفين •• أما الثانى فقد استهلك نفسه فى عملية الاجهاز على الوحدة ••

يقول تقرير الرفاق الاربعة •• « وجاءت اللجنة المركزية لتعقد اجتماعها الثانى بعد اجتماع اعلان الوحدة • وكما قررت ل•م فى اجتماعها الأول ـ بأغلبية صنعها تكتل حزبين سابقين ضد حزب سابق •• حل الازمة المالية على حساب المحترفين الثوريين ، ثم تبين بعد ذلك ـ وفى التطبيق ـ أن عدد المحترفين الفعليين قد زاد ، وأن الذى حدث هو ابعاد المحترفين من رفاق الموحد ليعين وبعدد أكبر محترفين من الراية ومن ع•ف •

•• جاءت اللجنة المركزية فى اجتماعها الانقسامى والتكتلى الثانى ، وجاء المريض والمصيف والنائم والحامل ليبصم الجميع على قرارات المكتب السياسى ، وعلى بيان اللجنة الدائمة الذى صدر بأغلبية خالد وعباس ضد فريد •• وهكذا أكدت اللجنة المركزية بهذا القرار على

---

(١٤) الرفاعى ـ المرجع السابق .

عزمهـا على انهـاء الصراع الفكرى باجراءات انتقـامية مؤكدة عزمها على احـداث الانقسام »(١٥)

•• ويبقى بعـد ذلك بعض الملاحظـات ••

فخرى لبيب عندما سألناه هل كان الانقسام حتميـا يجيب •• « لا •• لكن المشكلة هى أن الفكر الانقسامى كان لم يزل موجودا • والخطـأ الحقيقى هو أننـا لم ننجح فى نقل المعركة وبشكل صحيح الى الكـادر المتوسط ، ولكننـا حصرناها فى داخل اللجنة المركزية أى فى أكثر العناصر تمسكا بالفكر الانقسـامى والروح الانقسامية » •

•• وعن موقف كوادر الوحـد التى بقيت لتصارع داخل صـفوف الحزب يقول « طالبنـا بعقـد كونفرنس • ووافقوا على ذلك ، وحاولنـا بدأ صراع فكرى وكتبت تقريرا بعنوان « وجهـة نظر ثالثة فى المعركة » قلت فيهـا أن اللجوء الى الحل التنظيمى خطأ ، وأن الانقسام خطأ • وبرغم الموافقـة على مبدأ عقـد الكونفرنس فانه لم يعقـد •• وأتت الضربـة البوليسية لتجهض كل الترتيبات » •

ويسجل فخرى لبيب ملاحظـة مهمة ولعل من حقـه أن نثبتها منسوبة اليه هى « ان الرفاق الذين خرجوا لم يخرجوا باسم الوحد •• ولا باسـم المتحـد وانمـا عادوا أدراجهم الى اسم حدتو •• ولهذا دلالته » (١٦)

وعلى أية حال فاننـا نلاحظ أن الرفاق الذين خرجوا قـد تركوا وراءهم عديدا من أفضل كوادرهم ، فكانوا ذخيرة للآخرين •• الآخرين الـذين بدوا وكأنهم فى عجلة من أمرهم ، وحاول كل فريق منهما ـ الراية و ع•ف أن يستولى على القسم الأكبر من الغنيمة وتاه فى الخضم المتلاطم •• رفـاق الوحـد •

يقول سعد رحمى « عشت معهم تجربة مريرة مليئة بالنفاق والأساليب اللا مبدئية » •

ويقول فخرى لبيب « استمررت فى ل•م• فى معركة شديدة وضارية محـاولا الحفـاظ على وحـدة الحزب » •

فماذا عن الرفاق الآخرين ••

نعود الى بيـان الأربعة ولنقرأ كلمة الختام •• « أيهـا الرفـاق

---

(١٥) حقائق الأزمة التى تعرض لهـا حزبنـا ـ المرجع السـابق .

(١٦) لبيب ـ المرجع السـابق .

أعضاء الحزب : اننا نتمسك أولا بتعريتهم أمام كادر الحزب كانتهازيين مصفين للحزب سياسيا وتنظيميا ، ومصفين بالتالى للجبهة ، وللقضية الوطنية ، وللقضية الاشتراكية • ونتمسك بأن يكون تطهير الحزب هذه المرة ، ولأول مرة فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية ، لا بقرار من أعلى ولكن باجماع الكادر الثورى فى الحزب ••

اننا نضع القضية فى أيديكم ••• ولننطلق فى ممارسة ثورية مستندة للنظرية الماركسية اللينينية ، وخبرة قادة الحركة الشيوعية فى العالم •• لننطلق بكل قوانا الخلاقة ، وتراثنا الثورى ، وتجاربنا الكفاحية فى اطار الحزب الذى لن ننقسم عليه ولن نسمح للانتهازية بتخريبه وحدته عن طريق احداث انقسامات جديدة ، واما سنعمل معا بكل اصرار لتطهير صفوفنا هذه المرة وللمرة الاولى من الانتهازية السياسية والتصفية فى ابشع صورها •

وليكن عملنا كله مع الشعب ، وليكن عملنا الحزبى تحضيرا لمؤتمر الحزب الاول من أجل تطهيره من الانتهازية وانقاذ وحدته وتأكيد اعلان الحزب ••

وليبق الحزب شيوعيا واحدا متحالفا مع كل القوى الوطنية ومع الحكم الوطنى من أجل حماية استقلالنا واستقلال الشعوب وتدعيم السلام ومن أجل انتصار الاشتراكية •• عاشت وحدة كادر الحزب »(١٧)

هنا نتوقف •• فالرفاق الأربعة ورغم صدور قرار فصلهم لم يقرروا الانقسام بل قرروا بالتحديد :

ـ التوجه الى الكادر ـ الدعوة لمؤتمر عام ـ العمل على تصفية الانتهازية ـ أن العمل أساسا مع الشعب وليس بالاستهلاك فى الصراعات الداخلية المجدبة •

وأعلنوا أنهم يتمسكون بوحدة الحزب برغم اعترافهم بتمردهم على الأغلبية التى وصفوها بانها شكلية ••

واتماما لهذه الخطة فقد استمر بقية رفاق حدتو فى المكتب السياسى وفى اللجنة المركزية (الذين لم يفصلوا) يحضرون الاجتماعات ويواصلون مسئولياتهم ، فقد ظل مبارك عبده فضل ـ محمد على عامر ـ أحمد خضر ـ محمد الجندى ـ بهيج نصار فى حضور المستريات القيادية بما أطلق الطرف الآخر •• الذى أصدر قرارا بفصلهم بحجة « اننا كنا

---

(١٧) حقائق الأزمة التى تعرض لها حزبنا ـ المرجع السابق ص ٣١

نتصل بالآخرين · وطالبنا اخضاعنا للتحقيق فرفضوا ، وفصلونا دون اى مبرر حقيقى · والحقيقة التى أود أن أقررها الآن أننا حتى آخر لحظة كنا نحاول تهدئة الجو والوصول الى حل وكنا نبحث عن التفاهم لكننا فشلنا لان المجموعة الأخرى كانت ملتزمة بالتصويت مما ايا كانت الآراء او الوعود الفردية » (٩٨)

ويوضح احمد الرفاعى خطة حدتو فى هذا الصدد قائلا : « أخذنا المطبعة ، وتولى مسئوليتها محمد الزبير وتولى فؤاد حبشى تدبير مكان جديد لها · وانتهى الموضوع بطردنا ، واستمر بقية رفاقنا داخل الحزب· واقرر اننا لم نقم ، ولم نكن ننوى القيام باى شكل من اشكال التنظيم المستقل ·· وان كان الوضع مختلفا فى السجن حيث تم انقسام فعلى فى المنطقة هناك ، أما فى خارج السجن فلم يتم اى تشكيل تنظيمى مستقل ، فمبارك عبده فضل وبهيج نصار ومحمد الجندى واحمد خضر ومحمد على عامر ظلوا يحضرون الاجتماعات ويؤدون عملهم الحزبى ، لكنه من الضرورى أن أقرر اننا وان كنا لم نقم بعمل شكل تنظيمى ، فقد كانت لنا أنشطتنا المستقلة سواء الجماهيرية او الاعلامية ، فقد تحركنا جماهيريا فى النقابات والطلاب وواصلت دار الفكر نشاطها ·· وكذلك بدانا فى اصدار عدد من المطبوعات المستقلة باسم الحزب ·· والآخرين لفرط غبائهم بدأوا فى اتخاذ اجراءات متشددة ضد رفاقنا الباقين معهم ، وبدأوا فى فصل العديد من الكوادر · فكانوا يضيفون الينا كل يوم رفاقا جدد ليتعاونوا معنا ·

·· وظللنا كذلك حتى قبض علينا فى يناير ١٩٥٩ حيث اعلنا أننا تنظيم مستقل »(٩٩) ·

·· ولم يكن الطرف الآخر يتصرف بلا خطة · او بالدقة بلا خطط ··

فرفاق حدتو الباقين كانت خطتهم الحفاظ على الوحدة ولو شكليا ومحاولة تجميع ضغط من الكادر بهدف اعادة الرفاق المفصولين · (مبارك عبده فضل ـ محمد الجندى ـ بهيج نصار ـ محمد على عامر) ·

هذا بينما كانت مجموعة من رفاق الوحدة وحتى من رفاق حدتو فى القيادة قد قررت البقاء ايا كان الثمن دفاعا عن الشرعية الحزبية وأملا فى تصحيح المسار عبر القنوات الحزبية السليمة (محمود العالم ـ فخرى لبيب ـ سعد رحمى) ·· بينما بعض رفاق الوحدة من أبناء المنظمات

---

(١٨) الجندى ـ المرجع السابق .

(١٩) الرفاعى ـ المرجع السابق .

الصغيرة استيقظت فيهم عداوتهم لحدتو فتحالفوا مع الآخرين ضد حدتو وكانوا فى الاساس أقرب الى جماعة ع٠ف ٠٠ (عبد المنعم شتلة ـ عدلى جرجس) ٠

أما ع٠ف فقد تصورت أو خططت كى تستحوذ على الاخرين واحدا واحدا ٠ فقد عززت أغلبيتها فى ل٠م الموحد بضم عبد المنعم شتله ٠٠ وبدأت أيضا تتربص باقتناص منصب السكرتير العام والغاء اللجنة الدائمة وطرحت عباس سكرتيرا عاما ٠٠ بينما طرحت الراية ٠٠ الرفيق خالد ٠٠

* * *

والحقيقة أن عملية فصل بقية رفاق حدتو (مبارك عبده فضل ـ أحمد خضر ـ محمد على عامر ـ بهيج نصار ـ محمد الجندى) دون أى سند لائحى كانت تستهدف محاولة اعادة ترتيب البيت ٠

من الذى أعاد الترتيب ؟ ومن الذى استفاد ؟

لقد تقرر تضييق اللجنة المركزية ٠٠ الى ١٣ عضوا ٠

وبدأت السهام تتجه ضد الراية فى محاولة لاضعاف نفوذها ٠

هكذا بدت الصورة واضحة فجماعة ع٠ف ٠ تقوى نفوذها بطريقة ليست بريئة ٠٠ التحالف ضد حدتو حتى طردها ، ثم التحالف ضد الراية بهدف تحجيمها ٠٠

يقول فخرى لبيب « بعد خروج حدتو بدأت السهام توجه ضد الراية ، ووقفنا نحن رفاق الموحد مع ع ٠ ف ضد الراية بسبب مواقفها اليمينية »(٢٠) ٠

ويقول « بعد خروج رفاق حدتو تعرض الحزب لمشاكل تنظيمية عديدة ، ومع ذلك نجحنا فى جمع الصفوف والتأمت الجراح الى حد كبير ٠ وبدأ يتبلور خط سياسى أكثر تحديدا وأكثر وضوحا ، وبدأ عمل جماهيرى واسع ، وخاصة فى مؤتمرات الاتحاد القومى وبدأنا نطرح وننفذ منهج الوحدة والصراع ٠٠ ولكن سرعان ما بدأ الخلاف يشتد فى صفوفنا فرفاق الراية كانوا يوافقون على منهج الوحدة والصراع لكنهم كانوا يتهموننا نحن (ع٠ف ـ ومن بقى من الموحد) باليسارية وبأننا نغلب عنصر الصراع وبدأت معارك عنيفة فى صفوف القيادة ، ثم جاءت

---

(٢٠) لبيب : المرجع السابق ٠